الشخصيات الأجنبية

obeikandl.com

obeikandl.com

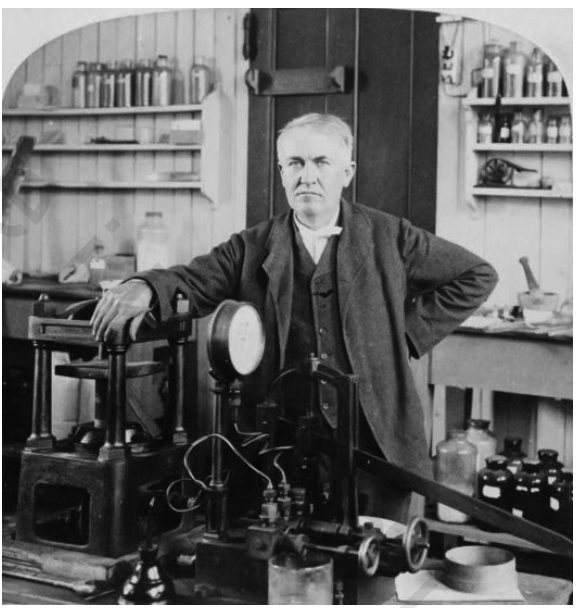

توماس أديسون

رجل أضاء العالم

obeikan.com

عانت الأم كثيراً حينما حان موعد الولادة.. ولم تكن العمليات القيصرية قد انتشرت حتى تتخلص الأم من هذه المعاناة.

وتلد الأم بصعوبة.. فقد كان رأس الطفل كبيراً وبشكل غير عادي.. كان ذلك في الحادي عشر من فبراير عام ١٨٤٧م.. حيث تلقي العالم ميلاد توماس أديسون..

وظل كبر حجم رأس أديسون يعوقه عن المشي وهو طفل.. ويفقده توازنه وحار الأطباء في علاج هذا العيب الخلقي.. بل خشي الأب أن يكون ولده من البلهاء الذين يتصفون بكبر حجم الرأس

وكثيراً ما كانت الأم (نانسي) تتشاجر مع جيرانها وهم يسخرون من ولدها الذى يرونه دائما يحني رأسه فوق صدره.. ويطلقون عليه (أبو رأسين).

لكن هذا الرأس الكبير كان مملوءاً بالعبقرية التى بدت في تفكيره وسلوكه وهو لا يزال طفلاً.

من ذلك مثلاً أن جيرانه كانوا يمتلكون عربة لها صرير مزعج يشكو منه كل الجيران.. ففكر أديسون كيف يمنع هذا الصرير.. ووصل إلى علاجه بتشحيم العجلات بدهن الطعام.. فانقطع الصرير.

ويبلغ توماس السادس من عمره فيدخله أبوه المدرسة.. لكنه لم يستطع الاستمرار فيها.. وغادرها بسرعة.. فقد استخف بالدروس الساذجة التى تلقي عليه.

وتدرك أمه عبقريته المبكرة وتقف فى وجه أبيه الذى كان يقسو عليه ويراه كسولاً وغبياً وبليداً.. وكثيراً ما كان يضربه ويوبخه أمام أصدقائه..

قرر توماس وهو فى الثامنة أن يكون نافعاً للناس.. فبدأ يعمل فى البناء.. ثم تحول بعد أن قل دخله إلى بيع الخضار فى الأسواق من منتجات أرض أسرته.. وكان يعمل معه صديق له صغير اسمه مايكل.. وقد عملاً معاً.. وتمكنا من كسب أموال كثيرة.. لكن توماس أدرك أنه ليس مخلوقاً لكي يكون بائعاً أو بناء.. فقد كان مفتوناً بالكيمياء.. يقرأ كثيراً فيها.. ويشترى من ماله بعض الأدوات والقوارير.

وفى غرفة سفلية من منزل أبيه جمع أكثر من مائتي قارورة مملوءة بأشياء عجيبة. وألصق عليها كلمة (سُم) وراح يجرى تجاربه الخاصة.

لكنه لم يكتف بذلك أيضاً.. فقد بدأ يكتب المقالات.. وأقنع أمه أنه سوف يعمل فى بيع الصحف.. وكانت سنه قد بلغت الرابعة عشرة ففكر أن يصدر بنفسه صحيفة من صفحة واحدة ويبيعها مع الصحف الأخرى فى القطارات.

وحدث أن كان توماس يتخذ لنفسه مكاناً فى عربة البضاعة.. فاستغل أرباحه لعمل معمل كيميائي صغير فى ركن من هذه العربة.. يشمل أحماضاً وكيماويات كثيرة يجرى عليه تجاربه.

ومـع اهتـزاز القطـار.. سـقطت الزجاجـات بالأحمـاض واشـتعلت النـيران فـي العربة.. وجـاء حارس القطـار وانهال على تومـاس ضربـاً وصفعـاً علـى أذنيـه.. ممـا أصابـه بالصمـم المؤقت.

ومـرة أخـرى أخـذ يجـرى وفـوق صـدره كميـة مـن الصحـف ليلحـق بالقطـار الـذى تحـرك مـن المحطـة.. فمـا كان من محصل القطـار إلا أن مـد يـده وأمسـك بأذنيـه يسـاعده علـى الصعـود.

وبعدهـا أحـس أديسـون بضوضـاء فـى أذنيـه.. ثـم أصيـب بالصمـم الكامـل.

وكاد يفقـد بصـره أيضـاً فـى حادثـة أخـرى حينمـا كان يجـرى اختبـاراً علـى سـلك كهربـي ملفـوف.. فعلقت يـداه بطرفي البطاريـة.. ولكـي ينتزعها كان عليه أن يرجع إلى الوراء ويسـحب سـلك البطارية.. ولحسـن حظه أغمض عينيه أمام انفجار حامض النيتريـك الـذى كان فـى البطاريـة.. لكـن وجهـه شِـوه قليـلاً.

ترى.. أكان هذا كله ثمن عبقريته؟.

بـدأ أديسـون يجمـع شـتات ذاتـه وعقلـه.. وسـجل أول اخـتراع لـه، وكان جهـازاً كهربائيـاً يسـجل تلقائيـاً أصـوات الناخبـين فـى عمليـة الاقـتراع..

ثـم اخـترع الفونوجـراف.. والمصبـاح الكهربائـي الـذى أضـاء العـالم.. وودع بـه الظـلام.. وآلـة التصويـر السـينمائي.. وآلـة العـرض.. والمولـدات الكهربيـة الضخمـة.. وغيرهـا مـن المخترعـات التـى تزيـد علـى ألـف اخـتراع..

لقد صار بيت أديسون معملاً لكل جديد يفيد العالم.. ودعنا نستمع إلى أحد الزائرين لبيت أديسون..

أخذ موعداً، وأدخل في غرفته الملكية التي تحتوي على أفضل الكتب والموسوعات العلمية.. وقد زينت الجدران صور لأعلام العلماء والشهادات والأوسمة التي حصل عليها أديسون.. ثم يدخل عليه أديسون ويستقبله في حفاوة بالغة ثم جلساً معاً.. وكان إذا كلمه الزائر وضع يديه وراء أذنه ليجمع تموجات الصوت ثم قال:

– أنا أصم.. فقد ضربني حارس القطار على أذني وأنا في الخامسة عشر.. وجذبني المحصل منهما لكي أصعد القطار فمزق طبلة الأذن.. ولكن الصمم لا يوقفني عن طموحي.. ولو أمكنني أن أشفي منه ما فضلت الشفاء.. لأن الصمم ساعدني على التركيز في أفكاري.. ثم أنني لم أخسر كثيراً بعدم سماعي ما يقوله أكثر الناس.

ويواصل العالم الأصم شرح برنامج يومه بقوله: إنني أبدأ عملي قبل الساعة السابعة بعشرين دقيقة فأطالع أولاً صحف الصباح.. ثم أتناول فطوري.. وأمضي إلى معملي في الثامنة وأمامي فيه عمل كثير يستغرق ساعات طوالا.. وفي نهاية الليل أدون ما سوف أقوم به من أعمال في اليوم التالي.. وهكذا.

نحن إذن أمام صورة المخترع العالم الكامل في أذهان الناس.. لم يهتم بمظهره يوماً.. ولم يجلس على كرسي

الحـلاق قـط.. ولا يعبـأ بمسـرات الحيـاة ومظاهـر الرفاهيـة فيهـا.. وكان الفريـق الـذى يعمـل معـه قـد اعتـاد علـى هـذه الحيـاة.

ظـل أديسـون – برغـم صممـه.. وتلـك المحـن التـى عاناهـا – مخترعـًا عظيمـاً وعبقريـاً أفـاد البشـرية كثـيراً بمـا قدمـه لهـا مـن مجـالات العلـم المختلفـة.

لقـد دهمـه أخـيراً مـرض فـى ضيعتـه الخاصـة مـات علـى أثـره وهـو فـى الرابعـة والثمانـين مـن عمـره.. وكان ذلـك فـى أكتوبـر ١٩٣١م.ولنسـتمع إلى زوجتـه وهـى تتحـدث عنـه قائلـة:

– لقـد كان أديسـون عميـق الإيمـان بـالله.. وكان يـردد دائمـاً: إن الإنسـان كلمـا تعمـق فـى العلـم ازداد إيمانـاً بالخالـق العظيـم، وإن كل مـا يحيـط بـه علـم البشـر لا يضاهـي ذرة مـن علـم الله.